الباب الثالث

النَّفَج القومى الغربى والأسلوب السياسى البريطانى

***الجانب القيم والجانب السىء فى الغرب**
▪ الموقع الجغرافى الجزر البريطانية

▪ النهازة فى السياسة الاستعمارية البريطانية
(بيرك- ماكدونالدز – تشرشل)

الفصل الأول

الموقع الجغرافى/ الجزر البريطانية (عبقرية مكان)

***معالم التيار الإنسانى (ربط)**
■ بريطانيا من حيث الموقع والتأثير العلمى
■المحافظة البريطانية بين الراديكالية والجمود
■ حصاد الريث فى بريطانيا وأثر ديمقراطيتها فى أمريكا وفرنسا

*سبق تبينا معالم "التيار الإنسانى" الأخلاقى أو الشعورى فى الفكر الغربى بعد ما أوجزناه من خصائص التيار البشرى وقيام الدول القومية فى أوروبا ؛ وها نحن نبحث فى طبيعة العقلية الانتفاعية الانتهازية فى أبرز دولة استعمارية غربية ؛ وذلك مقابلة بالجانب القيم فى الفكر الغربى

obeikandl.com

؛ والذى إن لم أنهج فى إبرازه هذا النهج فإن هذا التيار الإنسانى الحميد يستحيل تبينه لغلبة الانطباع بضراوة الفكر القومى الغربى ووحشية المسلك الاستعمارى.[1]

بريطانيا من حيث الموقع والتأثير العلمى:

وبقدر ما كان موقع إيطاليا ومدنها مفيدا لنمو العلمانية فى لأوروبا كلها كان موقع الجزر البريطانية مؤثرا فى بريطانيا بخصائص مازتها من الدول الأوربية الأخرى.

وتعتبر الجزائر البريطانية من حيث الموقع عينا مطلة على القارة الأوروبية لا تغول نظر سكانها تضاريس أوروبا ولا حدة الصراع بين سكانها مما يتيح لعلمائها الوقت للتفحص والاختيار ولا سيما أن غرب أوروبا كان ملجأ العلماء مرتين مرة الفرار من الغزو الجرمانى الهمجى ومرة الفرار من الغزو التركى كما سبق القول .

والحق أن التأثير العلمى ريثما قطع الشقة عبر القارة الأوروبية ولا سيما من جنوبها إلى شمالها قد تمثل فى بريطانيا فى نشاط "الجمعية الملكية اللندنية" Royal Society of London التى نظمت حوالى سنة ١٦٦٠م من مجموعات من من العلماء كانوا يلتقون من قبل فى "كلية جريشام" Gresham College أو فى "ودام" Wadam بأكسفورد ؛ "ويتمثل إنجازها الغنى فى اصطناع الرياضيات فى (دراسة) حركة الأجرام السماوية.. وقد كان رواد الجمعية رجالا مخلصى التدين" وكذلك " فإن ما وضعه " روبرت بويل" Robert Boyle (١٦٢٧ – ١٦٩١م) (من المؤلفات) على ما أنجزه "چون John Roy ٠١٦٢٧ – ١٧٠٥م) فى الكيمياء والعلوم الطبيعية الأخرى (للسيد) "إسحاق نيوتن" Sir Isaac Newton(١٦٤٢-١٧٢٧م) فى الرياضيات والفلك – كل ذلك كان قد صمم بحيث يدعم المذهب الدينى السنى Religious

[1] فى استخدامى صطلحى "التيار البشرى" و "التيار الإنسانى" انظر ص ٥٦ آخر قسم (٥) "القومية مرحلة التقنين والأيديولوجية"

. Orthodoxy

المحافظة البريطانية بين الراديكالية والجمود:

وتلك سمة من سمات الكلاسيكية الجديدة فى هذا البلد تنزع إلى المحافظة والتجديد [١] ؛ لولا أن عقلانية العلماء الانجليز قد اصطدمت بنزعة للجمود تمثلت فى انجلترا فى أسلوب "إدموند بيرك" المعروف كما اصطدمت بالدعايات المرتدة عن تجاوزات الثورة الفرنسية وغير ذلك من المزالق؛ فمن ثم ظل أثر العلماء العمليين محصورا فى مجالهم المهنى وحوصرت نظراتهم الإنسانية حصار المنشور من آراء "چون ثالوول" الراديكالية بواسطة كتابات إدموند بيرك العاتية داخل انجلترا بطبيعة الحال ؛ وإن كان الراديكاليون الإنجليز قد وجدوا متنفسهم فى بلاد أخرى كما سنذكر [٢] .

- أما ما شاع من الفكر الراديكالى داخل انجلترا نفسها فمما داخلته الفوضى والتخلط ومن ثم لم يكن فى صالح الحركة كما ذكرنا فى أمر "وليام جودوين" مما غلب على الروح البريطانية طابع الريث والترقب أيضا.

- وقد سبق أن تمثلنا فى 'إدموند بيرك' Edmond Burk (١٦٢٩-١٧٩٦م) العقلية البريطانية التى تعرفنا ونتعرف علي ما طبقها هنا. وقلنا إن مذاقها ماكيافيللى - طبعت الأسلوب السياسى البريطانى بطابعها - أرهصت للمذهب النفعى .

من الأفكار البيركية مثلا :

- أن السياسات لا تتوافق مع العقل

- الحرية ليست حقا طبيعيا من حقوق الإنسان ولو أنه رأى الإنسان مهيأ فقط للحرية المدنية Civil Liberty بواسطة ضبط النفس وحب العدل

---

١ Literary History of England, Edit.. C. Edit..C. Bouch, Second ed. London and Henley, p. 700, 701

٢

واتجاهه إلى الفهم ، ورأى أن المجتمع يجب أن يمتلك قوة مسيطرة عليا يرهبها الأفراد ويحترمونها [1] .
- عدم المساواة الاقتصادية تلك تبرر عدم المساواة السياسية أيضا.
برر بفظائع الثورة الفرنسية
- تمثيل الجماهير المعدمة عند بيرك فقد دخل نظريا فيما سماه "تمثيل الفضيلة" Virtual Representation ويقول بأنه قد يكون أعظم من النوعين الآخرين فى بعض الأحوال.
- العمال مجرد سلعة
- هاجم الميتافيزيقا ’إلا أنه رأى "ضرورة المحافظة على الدين والتمسك به".

حصاد الريث فى بريطانيا وأثر ديمقراطيتها فى أمريكا وفرنسا :
أتاح الريث الفكرى لانجلترا حظا من التقدم على سائر الدول الأوروبية رغم تأخرها عنهم جغرافيا واستقبالا للأفكار ؛ فليس غريبا أن ترتاد انجلترا طريق تجريب ديموقراطى سنة ١٦٨٨م حيث استطاع الاتجاه البرلمانى أن يسود فيها . وهو يقوم على حرية سياسية وفصل للسلطات وإنكار للاستبداد ؛ فهاجر إليها "فولتير" و"مونتسكيو" وغيرهما وعلى أثر هذه الثورة البرلمانية الهادئة شبت الثورة الأمريكية سنة ١٧٧٦م وانصاعت لها انجلترا ، ثم الثورة الفرنسية ١٧٨٩م على النحو المعروف.

ويتمثل التغير الصحى الذى طرأ على جسم المجتمع البريطانى فيما أوردنا من منحى العلماء الموضوعى فى التثبت للدين بحقائق العلم المجردة دون إقحام وهى قيمة صحية يصعب المساواة بها فى قيمة اجتماعية مادية مختلفة تمثلت فى المجال الاقتصادى فى صيرورة التجارة والصناعة معيار المكانة الاجتماعية والنفوذ بدلا من الإقطاع؛ لكن الذى لا يمارى فى صحيته هاهنا حقا هو هذا القدر الفاعل من الديموقراطية الذى ذكرته.

[1] على عبد المعطى محمد/ الفكر السياسى الغربى.. ص٢٣٢، ٢٣١

دل هذا القدر على حدوث قدر مناسب أو مساو من التوافق بين الملوك والطبقة المتوسطة مما مثل فى انجلترا ظاهرة فريدة؛ يفسرها أيضا استنادها إلى موارد اقتصادية كانت ترد من أمريكا الشمالية وأيرلندة وغيرهما وهو استناد أو توافق أو صحة لم يكن حدوثها بغير هذا الاحتلال للبلاد الأخرى ومن ثم تكن الديموقراطية الإنجليزية هذه نفسها بحكم التعليل المصلحى الأنانى فيها لترضى للأمريكيين مثلا أن يتحرروا من بريطانيا حت لو ظلت هناك المصالح العادلة المشتركة ؛ لما يعنيه ذلك من انقطاع الانتهاب أو الاستغلال المفرط. والواقع أن بعض الولايات اشترت حريتها من انجلترا بالمال ؛ وهو أسلوب قد مثل ابتزازا خالصا فى منطقة أسوأ حظا كمصر كما أبين فى موضعه.

لكنه بفضل الوعى المستمر بالديموقراطية واتساع مدى الإيمان بها فى انجلترا وخارجها ولاسيما فى نفس فيلسوف الحرية المعروف 'توماس بين' الذى يحتل مكانه فى قسم التيار الإنسانى بالمعنى الأخلاقى فى الباب الثانى بهذه الدراسة .

بفضل ذلك تحول الاعتقاد الديموقراطى فى أمريكا إلى ثورة رضخت لها انجلترا مبقية فى الوقت نفسه على علاقات سياسية مع الدولة الجديدة لأهميتها المتعاظمة فى الاقتصاد والحرب والسياسة فاتضح مقدار من البراعة فى السياسة البريطانية بالتصرف بحسب المقتضى بعد الاستفادة من الغير بدافع المصلحة قبل أى اعتبار آخر.

وهو دافع غير مذموم على إطلاقه وإنما يذممه ما أدى إليه الكلَب الاستعمارى من نهب المستعمرات ولاسيما الأصغر والأضعف. وفى هذا تغلبت بريطانيا على منافسيها فى معظم الميادين وفازت دونهم فى القرنين التاسع عشر والعشرين خاصة بالقسم الأكبر من الجسد الإنسانى الممزق بفضل هذا الضرب من البراعة الذى تشبع ماكيافيللية فتعرى من النبل غالبا.

بفضل بين وأمثاله وإحرازات الثورتين الأمريكية والفرنسية امتدت أفكار

الحرية وموجة الثورة إلى الشرق. ورغم سلبيات الغرب الحاضن لهذه الأفكار فإن الشرق العربى أو المسلم لم ينكر إنسانية هذه الأفكار وكان انجذابه إلى المادية الماركسية أو المناوأة النازيةوالفاشية قليلا موقوتا ولاسيما الماركسية التى تجاوزت مجرد الفصل المنهجى بين الدين والسياسة إلى محاولة إلغائه كله.

obeikandl.com